كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند
ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانه بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم
وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي
امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير
للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد
على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم
عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد
اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل
بحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان
تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد
عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة
وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم
الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى
دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد
ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس
اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا
قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره
من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات
والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد
به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض
مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد
التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط
ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالا
يمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات

الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا
عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما
انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم
تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد
اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلواته
والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات
ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلاة فلذلك جمعوا
وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك
تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء
في اموالنا وقرئ فيهما بالتاء على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن
التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه
بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم
والرشد المانعين من المبادرة الى مثل ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا
حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف
تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار
عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه
لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو
كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا
قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما
ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها
حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية
واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته

Copyright © King Saud University